تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمرا رسوله صلى ا عليه وسلّم أن يقول للمشركين { ما سألتكم من أجر فهو لكم } أي لا أريد منكم جعلا ولا عطاء على أداء رسالة ا D إليكم ونصحي إياكم وأمركم بعبادة ا { إن أجري إلا على ا } أي إنما أطلب ثواب ذلك من عند ا { وهو على كل شيء شهيد } أي عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم وما أنتم عليه .

وقوله D : { قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب } كقوله تعالى : { يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده } أي يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض وهو علام الغيوب فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض وقوله تبارك وتعالى : { قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد } أي : جاء الحق من ا والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى : { بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق } ولهذا لما دخل رسول ا صلى ا عليه وسلّم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ { وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا } { قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد } رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الاية كلهم من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد ا بن سخبرة عن ابن مسعود Bه به أي لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة وزعم قتاده والسدي أن المراد بالباطل ههنا إبليس أي أنه لا يخلق أحدا ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وإن كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا وا أعلم .

وقوله تبارك وتعالى : { قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي } أي الخير كله من عند ا وفيما أنزل ا D من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبد ا بن مسعود Bه لما سئل عن تلك المسألة في المفوضة أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن ا وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان وا ورسوله بريئان منه وقوله تعالى : { إنه سميع قريب } أي سميع لأقوال عباده قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه وقد روى النسائي هنا حديث أبي موسى في الصحيحين [إنكم لاتدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا مجيبا]